٢

النـــــار

عندما جرى القس كيوشى تانيموتو خارجاً من ضيعة ماتسوى على أثر الانفجار ، ونظر فى دهشة إلى الجنود تتفجر منهم الدماء على فم المكمن الذى كانوا يحفرونه ، شهد سيدة عجوزاً تسير فى ذهول ، تمسك رأسها بيدها اليسرى ومسندة طفلا صغيراً عمره ثلاثة أشهر أو أربعة على ظهرها بيدها اليمنى وهى تصيح : « لقد أُصبت ! لقد أصبت ! لقد أصبت ! » فأشفق عليها وحمل الطفل على ظهره ، وأمسك بيد المرأة يسير بها نازلا الشارع الذى أظلم بما يشبه عموداً من تراب ، وسار بالمرأة إلى مدرسة ابتدائية قريبة أُعدت لتكون مستشفى عند الضرورة . وبهذا المسلك العاطفى تخلص مستر تانيموتو فى الحال مما اعتراه من خوف . ولقد دهش كثيراً عندما رأى زجاج المدرسة منتثرا على الأرض ، وخمسين أو ستين من المصابين تمكنوا فى هذه الفترة العصيبة من الوصول إليها طلباً للعلاج . جال بخاطره أنه ، بالرغم من الانذار بزوال الخطر وبالرغم من عدم سماعه صوت طيارات ، لابد أن تكون ألقيت عدة قنابل ، وتذكر تلا صغيراً فى حديقة صاحب مصنع الحرير يمكن منه مشاهدة حى كوى بأكمله ، بل هيروشيما بأكملها ؛ ولذلك جرى عائداً إلى تلك الضيعة .

وراى مستر تانيموتو من هذا التل منظراً عجيباً : فلم يكن جزء من حى كوى كما كان ينتظر ، بل أكثر ما يستطيع أن يراه من هيروشيما فى ذلك الجو الذى اكتنفه الضباب كان يخرج منه غبار كثيف فظيع . وقد أخذت أعمدة من

الدخان فى القريب وفى البعيد تفتح لها طرقا بين سحائب التراب المنتشرة فى كل مكان . وعجب كيف حدث هذا الضرر الكبير من سماء هادئة ؛ ولو كانت هنالك بضع طيارات ولو بعيدة لسمع صوتها . وكانت الدور القريبة تحترق . وعندما أخذت قطرات كبيرة من الماء تتساقط ظن أنها لابد ناشئة من رجال الحريق وهم يقاومون النار . (والواقع أنها قطرات رطوبة تجمعت بسبب ذلك البرج من التراب والحرارة وقطع الحطام التى ارتفعت أميالا فى الجو فوق هيروشيما .)

استدار مستر تانيموتو من هذا المنظر عندما سمع مستر ماتسو يناديه سائلا هل سلم من السوء ؛ فان مستر ماتسو أنقذته الوسائد التى كانت مختزنة فى البيت عند انهياره واستطاع التخلص منها . ولم يكد مستر تانيموتو يستطيع الاجابة ؛ فانه تذكر زوجته وطفله وكنيسته وداره وأتباع مذهبه ، وهم فى تلك الحمأة الفظيعة ، وأخذ يجرى مرة ثانية وقد استولى عليه الخوف نحو المدينة .

وتخلصت السيدة هاتسويو نكامورا أرملة الترزى من حطام دارها بعد الانفجار . ولقد رأت ميكو أصغر أطفالها الثلاثة مغموراً فى الحطام إلى صدره فلم يكن قادراً على الحراك . فزحفت نحو الحطام ورفعت الأخشاب وألقت بالآجرّ بأذلة جهداً سريعاً لتخليص الطفل . ثم سمعت صوتين صغيرين كأنهما يصيحان من كهف عميق ويناديان : « تاسوكيتى ! تاسوكيتى ! المساعدة ! المساعدة ! »

فنادت باسم ولدها الذى يبلغ العاشرة من عمره ، وباسم ابنتها التى تبلغ الثامنة : « توشيو! ييكو ! »

فرد الصوتان من أسفل .

فتركت السيدة نكامورا طفلتها ميكو التى تستطيع على الأقل أن تتنفس ، وأخذت فى سورة الخوف تزيح الأنقاض من فوق الأصوات الصائحة . ولقد كان الطفلان راقدين وبينهما نحو عشرة أمتار ، ولكن كان صوتاهما يصدران من مكان واحد . ويظهر أن الغلام توشيو كان يستطيع بعض الحركة ؛ إذ شعرت بأنه يزيح أكوام الخشب والآجر ، حين كانت هى تعمل من فوق . وأخيراً رأت رأسه فجذبته من رأسه بسرعة . وكانت ناموسية قد التفت

على قدميه كأنما قد أحكم ربطها حول هذين القدمين . وقال الغلام إنه قد قذف به إلى الجانب الآخر من الحجرة ، وإنه كان فوق أخته ييكو وهما تحت الأنقاض . وصاحت البنت من تحت الأنقاض بأنها لاتستطيع أن تتحرك ؛ لأن ثمة شيئاً فوق رجليها . واستطاعت السيدة نكامورا بعد أن حفرت قليلا أن تفتح ثغرة فوق البنت ، وأخذت تجذبها من ذراعها ، فصاحت ييكو قائلة « إتاى ! هذا مؤلم ! » فصاحت السيدة نكامورا « ليس هذا وقت التفكير فى الألم أو عدمه » وجذبت ابنتها الباكية ، ثم عادت إلى تخليص ييكو . وكان الأطفال معفرين ومصابين برضوض ، ولكنهم خالون من الجروح والخدوش .

وخرجت السيدة نكامورا بأطفالها إلى الشارع ، ولم يكن على الأطفال غير سراويلهم . ومع أن اليوم كان حارًّا جدا ، فقد اعترى أمهم قلق واضطراب خشية أن يصيبهم البرد ، فرجعت إلى الأنقاض وأخذت تنبش تحتها ، فوجدت ربطة من الملابس كانت قد وضعتها للضرورة ، فألبستهم ملابسهم وأحذيتهم ، ووضعت على رءوسهم خوذات من القطن للوقاية من الغارات ، وأغرقت فى ذلك فألبستهم معاطف . وكان الأطفال صامتين ما عدا الصغيرة ييكو فانها ظلت تلقى أسئلة : « ماذا ؟ هل جاء الليل ؟ لماذا انهارت الدور ؟ ماذا حدث ؟ » ونظرت السيدة نكامورا حولها وكانت لا تعرف ماذا حدث (ألم تنبئ الصفارة بزوال الخطر ؟) ورأت فى الظلام أن جميع الدور فيما حولها قد انهارت ، فالمنزل المجاور لها الذى كان صاحبه يهدمه لكى يفتح درباً لاتقاء النيران كان الآن قد انهدم تماماً ، وإن كان فى غير انتظام . وصاحب البيت الذى كان يضحى بمنزله فى سبيل الجماعة كان ملقى جثة هامدة . واجتازت الشارع السيدة نكاموتو زوجة رئيس جمعية الجيران المحلية لاتقاء الغارات ، وكانت الدماء تسيل من رأسها ، وقالت إن طفلتها أصيبت بجروح كثيرة ، وسألت السيدة نكامورا هل لديها شئ من الأربطة ؟ ولم يكن لدى هذه السيدة منها شئ ، غير أنها رجعت مرة أخرى إلى بقايا دارها ، وجرّت قطعة من القماش الأبيض الذى كانت تستعمله فى الحياكة ، وقطعته أشرطة وأعطته السيدة نكاموتو . وبينما كانت تبحث عن هذا القماش بصرت بآلة الحياكة فحاولت إخراجها . وكان من البين أنها لا تستطيع أن تحمل هذه الآلة معها ؛ ولذلك ألقت دون وعى رمز معيشتها فى الحوض الذى ظل رمز السلامة

لديها — وهو حوض للماء من الأسمنت أمام دارها من النوع الذى أمر كل بيت بانشائه لمقاومة النار بعد الغارات .

ولقد طلبت إليها جارة أخرى تملكها الخوف اسمها مسز هاتايا بأن تفر معها إلى الغابات فى حديقة أسانو ، وهى أراض على مقربة من نهر كيو تمتلكها أسرة أسانو الغنية ، وهى الأسرة التى كانت تمتلك خط بواخر تويوكيسن كايشا ، ولقد جعلت هذه الحديقة ملاذاً لمن يجاورونها من السكان . ورأت السيدة نكامورا النار تشتعل فى دار خربة قريبة (ولقد تسببت أكثر النيران الواسعة فى هيروشيما فيما عدا مركز المدينة حيث أشعلت القنبلة بعض النيران ، من سقوط الحطام القابلة للاشعال على مواقد الطهى والأسلاك المليئة بالكهربا) فاقترحت الذهاب لاطفائها . فقالت لها السيدة هاتايا : « تعقلى ! ماذا يكون الأمر لو جاءت الطائرات وألقت قنابل أخرى ؟ » فعاودت السيدة نكامورا السير نحو حديقة أسانو وبصحبتها أطفالها والسيدة هاتايا . وكانت تحمل كيساً به ثياب الضرورة ، وتحمل غطاء وشمسية وحقيبة بها أشياء وضعتها فى مخبأ الوقاية من الغارات . وكانوا يسمعون وهم يسيرون مسرعين بين الخرائب أصواتاً مكتومة تلتمس الغوث . ولم يروا من الدور ما هو قائم فى طريقهم إلى حديقة أسانو غير دار بعثة اليسوعيين إلى جانب مدرسة الأطفال اليسوعية التى كانت قد أرسلت السيدة نكامورا ابنتها ميكو إليها بعض الوقت ، وعندما مروا على هذه الدار رأوا الأب كلاينسورج فى ثيابه الداخلية وهى ملطخة بالدماء يجرى من الدار وفى يده حقيبة صغيرة .

أما الأب فيلهلم كلا ينسورج فانه بينما كان يدور حول حديقة الخضراوات بملابسه الداخلية على أثر الانفجار ، إذا به يرى الأب الرئيس لاسال يظهر من جانب البناء الذى اكتنفه الظلام . وكان جسمه لاسيما ظهره ملطخاً بالدماء ، ولقد قذف به البريق إلى الداخل من النافذة ورشقته سهام من الزجاج المتناثر ، وتمكن الأب كلاينسورج ، مع ما استولى عليه من ذهول ، من أن يلقى سؤالا : « وأين بقية الزملاء ؟ » وفى تلك اللحظة ظهر قسان آخران يعيشان فى دار البعثة ، هما الأب شيزلك الذى لم يصب بضرر ، يساعد الأب شيفر الذى كان مدرجاً بدماء متفجرة من جرح فوق أذنه

اليسرى وقد امتقع لونه امتقاعاً شديداً . وكان الأب شيزلك راضيا عن نفسه ؛ لأنه على أثر البريق اختبأ فى مدخل باب كان قد قدر من قبل أنه خير مكان لمن يطلب السلامة فى داخل البناء ؛ لذلك لم يصب عندما ضغط الهواء بسوء . وطلب الأب لاسال من الأب شيزلك أن يذهب بالأب شيفر إلى طبيب قبل أن تنزف دماؤه حتى الموت ، واقترح أن يقصد إما دكتور كندا الذى يسكن الجانب الآخر من الشارع ، أو دكتور فوجي الذى يسكن بناء يبتعد بستة أبنية . وخرج الرجلان من دار البعثة وسارا فى الشارع .

وجرت ابنة مستر هوشيما خادم البعثة إلى الأب كلاينسورج وقالت له إن أمها وأختها مدفونتان تحت أنقاض البيت الواقع وراء أبنية البعثة الكاثوليكية . ولاحظ القساوسة فى الوقت نفسه أن دار معلمة الأطفال الكاثوليكية وهى واقعة خلف أبنية البعثة تهدمت عليها . فذهب الأب لاسال والسيدة مورانا مدبرة دار البعثة لانقاذ المعلمة . وفى هذه الأثناء ذهب الأب كلاينسورج إلى دار الخادم المنهارة وأخذ يرفع الأنقاض من أعلى الكومة . ولم يسمع صوتاً تحت الأنقاض ، فاستيقن أن المرأتين من أسرة هوشيما قد قتلتا ، وأخيراً تحت أنقاض كانت تؤلف ركناً فى المطبخ رأى رأس السيدة هوشيما ، ولما كان يعتقد أنها جثة فقد أخذ يجذبها من شعرها فصرخت فجأة صائحة « إتاى ! إتاى ! إنها تؤلم ! إنها تؤلم ! » ، فأخذ يزيل ما عليها من أنقاض وأخرجها . وتمكن أيضاً من أن يجد ابنتها تحت الأنقاض وينقذها ؛ ولم تصب كلتاهما باصابة كبيرة .

وكان ثمة حمام عام يقع إلى جانب دار البعثة أخذ يشتعل . وإذ كانت الريح جنوبية فقد رأى القساوسة أن دارهم ستسلم من الحريق ؛ ولكن الأب كلاينسورج ذهب إلى الداخل على سبيل الاحتياط وجمع بعض الأشياء التى يريد إنقاذها ، فوجد حجرته فى حالة من الفوضى غريبة وغير معقولة ، فحقيبة فيها أدوات الاسعاف كانت معلقة فى مسمار على الحائط كما وضعها ، ولكن ملابسه التى كانت معلقة على مسامير أخرى لا يظهر لها أثر ؛ ولقد تحطم مكتبه إلى ألواح صغيرة متناثرة فى جميع أرجاء الحجرة ، ولكن حقيبة ملابس من الورق المقوى كان يخبئها تحت هذا المكتب ظلت قائمة ومقبضها من أعلى وليس فيها خدش واحد فى مدخل الباب بحيث لا يمكن أن يفتقدها ،

واعتقد الأب كلاينسورج فيما بعد أن للعناية الربانية دخلا فى هذا الأمر ؛ إذ كان فى هذه الحقيبة كتاب صلاته ، وسجلات حساب جميع منطقته الدينية ، ومبلغ كبير من عملة الورق التى تمتلكها البعثة وهو مسئول عنها . فجرى خارجا من البيت حاملا الحقيبة إلى مخبأ البعثة حيث أودعها من الغارات .

وفى هذا الوقت عاد الأب شيزلك والأب شيفر الذى كان الدم لا يزال ينزف منه ، وقالا إنهما وجدا دار دكتور كندا قد تهدمت ، وإن النار حالت دون أن يخرجا مما ظناه دائرة الدمار المحلية إلى مستشفى الدكتور فوجيى الخاصة على شاطئ نهر كيو .

ولم يكن مستشفى دكتور مساكازو فوجيى قائماً على شاطئ النهر كما كان ، بل كان فى النهر . وعلى أثر انقلابه استولت على الدكتور فوجيى الدهشة ، وشد إلى الخشبتين اللتين تطبقان على صدره حتى إنه لم يكن يستطيع أن يتحرك فى بادئ الأمر ، وظل نحو عشرين دقيقة معلقاً فى ذلك الصباح المظلم . ثم خطرت له فكرة — أن المد سوف يطغى على الأنهر وسيغمر الماء رأسه — فأدت هذه الفكرة إلى الخوف الذى بعث فيه النشاط ، فأخذ يتلوى ويستدير ويبذل ما فى وسعه من جهد (ولو أن ذراعه اليسرى بسبب ما فى كتفه من ألم كانت قليلة الجدوى) . وبعد قليل تمكن أن يتخلص من هذه القبضة السيئة . وبعد أن استراح بضع لحظات تسلق كومة الأخشاب ، ورأى لوحاً طويلا يمتد إلى شاطئ النهر ، فأخذ يسير فوقه فى مشقة .

كان الدكتور فوجيى فى ملابسه الداخلية مبللا بالماء وقذراً ، وقد تمزق قميصه ، وجرت دماء من جراح فى ذقنه وظهره ، وسار وهو فى هذه الحال السيئة إلى جسر كيو الذى كان المستشفى متاخماً له ، ولم يكن هذا الجسر قد انهار ، وقد كان هو لا يكاد يميز الأشياء إلا بصعوبة من غير نظارتيه ، ولكنه رأى ما يكفى لأن يبعث فيه الدهشة لكثرة الدور المتخربة فيما حوله ، وقابل فوق الجسر صديقاً طبيباً اسمه ماتشى ، فسأله فى حيرة : «أى شئ تظن أحدث هذا ؟»

فقال دكتور ماتشى : « إنها لا بد أن تكون سلة أزهار مولوتوف ! » وهو التعبير الرقيق الذى يسمى اليابانيون به مجموعة القنابل التى تتناثر من تلقاء نفسها .

رأى دكتور فوجي فى مبدأ الأمر حريقين : أحدهما على الجانب الآخر من النهر أمام مكان مستشفاه ، والثانى بعيداً فى الجنوب . ولكن فى الوقت نفسه لاحظ هو وصديقه أمراً استغربا له ، وأخذا بوصفهما طبيبين يتناقشان فيه . فمع أنه لم تشب حتى ذلك الوقت إلا حرائق قليلة جدا فان الجرحى من الناس كانوا يسيرون مسرعين فوق الجسر فى موكب من التعاسة لا ينقطع وعلى وجوه بعضهم وأذرعهم حروق فظيعة . فسأل دكتور فوجي : « ماذا تظنها ؟ » وقد كان مجرد الاهتداء إلى نظرية يبعث على الارتياح فى ذلك اليوم ؛ وثبت دكتور ماتشى على فكرته قائلا : « ربما كانت سلة أزهار مولوتوف . »

لم تكن هناك أية نسمة فى صباح ذلك اليوم حينما سار دكتور فوجي إلى محطة السكك الحديدية ليودع صديقه ؛ أما الآن فان الرياح القوية كانت تعصف فى كل مكان ، وكانت الرياح فوق الجسر شرقية ؛ وأخذت النيران تندلع من جهات عدة وتنتشر فى سرعة ، ثم أخذت تهب رياح عنيفة ساخنة ، وأخذ الرماد يتناثر مما جعل الوقوف على الجسر مستحيلا ، فجرى الدكتور ماتشى إلى الجانب البعيد من النهر مخترقاً شارعاً لم تشتعل فيه النار بعد . وذهب الدكتور فوجي إلى جانب الماء الذى يجرى تحت الجسر حيث التجأ عدد عديد من الناس بينهم خدمه الذين أنقذوا أنفسهم من الأنقاض . ورأى الدكتور فوجي من ذلك المكان ممرضة معلقة من رجليها فى أخشاب المستشفى ، وأخرى مسمرة بقطعة من الأخشاب اخترقت صدرها ، فطلب المساعدة من بعض الواقفين تحت الجسر وأنقذ الممرضتين . وخيل إليه أنه سمع صوت ابنة أخيه لحظة ولكنه لم يجدها ، ولم يرها فيما بعد . ومات أيضاً أربع من ممرضاته واثنان من مرضاه . ثم عاد دكتور فوجي إلى جانب الماء منتظراً هدوء النار .

كان ما حدث للأطباء فوجي وكندا وماتشى على أثر الانفجار — وهؤلاء الثلاثة مثال لما حدث للسواد الأعظم من الأطباء والجراحين فى هيروشيما — إذ تخربت عياداتهم ومستشفياتهم ، وتناثرت أدواتهم ، وأصيبوا بما أعجز أجسادهم بدرجات متفاوتة ، مما يفسر السبب فى أن العدد الكبير من الأهالى الذين

أصيبوا باصابات لم يجدوا من يعتنى بهم ، وأن الكثيرين ممن قدر لهم الموت كان من الممكن أن يعيشوا . وكان فى المدينة مائة وخمسون طبيباً ، فمات منهم خمسة وستون ، وأكثر من نجا من الموت قد جرح . ومن بين ١٧٨٠ ممرضة ، ١٦٥٤ قد متن أو جرحن بحيث لم يعدن يستطعن العمل . وفى أكبر مستشفى ، وهو مستشفى الصليب الأحمر ، لم يعد يستطيع العمل غير ستة أطباء من بين ثلاثين طبيباً ، وعشر ممرضات من بين أكثر من مائتين . وكان الطبيب الوحيد الذى لم يصب بسوء من بين أطباء مستشفى الصليب الأحمر هو الدكتور سازاكى . ولقد جرى بعد الانفجار إلى مخزن ليتزود بأربطة ، فكانت هذه الحجرة ، كسائر ما رآه فى المستشفى ، على حالة غريبة من الفوضى ؛ فقارورات الأدوية ملقاة من الرفوف ومكسورة ، والأدوية متناثرة على الحوائط ، والأدوات مبعثرة فى كل مكان ، فجمع فى سرعة بعض الأربطة وقارورة لم تكسر من كروم الزئبق ، وأسرع إلى كبير الجراحين فربط جروحه . ثم ذهب إلى المشى وأخذ يربط جروح المرضى والأطباء والممرضات . وكان يجد مشقة فى العمل بدون نظارتيه حتى لقد أخذ نظارتين من وجه ممرضة جريحة ولبسهما ، مع أنهما لا يلائمان نظره كل الملاءمة ، ولكن شيئاً خير من لا شئ . (ولقد ظل يعتمد عليهما أكثر من شهر .)

كان الدكتور سازاكى يعمل بلا نظام ، فيعالج من هم أقرب إليه أولا ، ولكنه لاحظ بعد قليل أن الجرحى يزيدون احتشاداً فى المشى . وكان يجد بين خليط الناس المصابين بالجروح والكدمات ، وهو ما أصيب به جميع الذين فى المستشفى ، آخرين أصيبوا بحروق فظيعة . فأيقن أن المصابين أخذوا يتدفقون من الخارج ، وأنهم من الكثرة بحيث أخذ يهمل الذين أصيبوا بجراح بسيطة ، وتقرر لديه أن كل ما يستطيع أن يعمله هو أن يمنع من المصابين نزيف الدم الذى يفضى إلى الموت ، ولم يمض وقت طويل حتى كان المرضى يغطون أرض عنابر المستشفى ومعامله ، وجميع الحجر الأخرى والطرقات والسلالم والردهة الخارجية ، وفيما وراء الباب الخارجى وعلى الدرج الأمامى ، وفى فناء المستشفى وعلى الطرقات المؤدية إليه ، وهم بين ممدد وجالس القرفصاء . وكان الجرحى يساعدون الذين قطعت أعضاؤهم ، وتتساند الأسر التى شوهت وجوهها ، وكان الكثير من الناس قد اعتراهم القئ . ودخل إلى المستشفى عدد عظيم

من فتيات المدارس ؛ وبعضهن أخذن من دروسهن ليعملن فى الخارج بفتح دروب لمقاومة النيران . وفى مدينة يبلغ عددها مائتين وخمسة وأربعين ألفاً ، قتل أو قدر له الموت منهم فى ضربة واحدة نحو مائة ألف شخص ، وأصيب نحو مائة ألف أخرى ، قد قصد عشرة آلاف من الجرحى منهم على الأقل إلى أحسن مستشفى فى المدينة ، وكان هذا المكان لا يمكن أن يسع هذا الزحف ؛ إذ كان به ستمائة سرير فقط وكلها مشغولة . وكان الناس فى ذلك الجمع الخانق داخل المستشفى يبكون وينادون دكتور سازاكى لكى يلتفت إليهم ، صائحين : « اسمعنى يا دكتور ! » وكان الذين أصيبوا بجروح غير خطيرة يجذبونه من كمه ، ويدعونه إلى مساعدة من هم أشد جروحاً . وكان الطبيب يجذب من هنا وهناك وهو لم يكن يلبس فى قدميه غير جواربه . وقد تحير لكثرة العدد ، وهاله ما رأى من لحم مشرح ؛ ففقد دكتور سازاكى كل المشاعر التى تقضى بها مهنته ، ولم يعد يعمل جراحا ماهراً ورجلا عطوفا ، بل صار كالآلة يمسح فى حركة آلية ، ثم ينثر المطهر ثم يربط اللفافة ، ثم يعود فيمسح وينثر ويربط .

على أن بعض الجرحى فى هيروشيما لم يقدر لهم أن يتمتعوا بتلك المتعة المشكوك فيها ، وهى المعالجة فى المستشفى . ففى تلك الخرائب التى كانت فيما سبق إدارة المستخدمين بمصانع الصفيح بشرق آسيا ، كانت الآنسة سازاكى مرتمية وهى فاقدة الوعى تحت الكومة الهائلة من الكتب والجبس والخشب وألواح الحديد . وظلت فاقدة الوعى (فيما قدرته من بعد) نحو ثلاث ساعات . وكان أول ما شعرت به ألم شديد فى رجلها اليسرى . وقد تأثرت رجلها واستحالت سوداء تحت الكتب والأنقاض ، حتى صار الحد الذى يفصل بين الحس الشعور وفقدان الحس دقيقاً ، وظلت تعبر هذا الحد عدة مرات ؛ إذ كان الألم ، على ما يظهر ، يجئ ويذهب . وفى اللحظة التى كان يبلغ فيها هذا الألم غاية شدته كانت تشعر أن رجلها قطعت فى مكان ما تحت الركبة . وسمعت فيما بعد شخصاً يسير على الحطام الذى كان فوقها ، وسمعت أصواتاً يائسة تتكلم على ما يظهر من بين فوضى الحطام فيما حولها وهى تقول : « أرجو المعاونة اخرجونا ! »

وقف الأب كلاينسورج نزيف الدماء من جرح الأب شيفر بقدر ما يستطيع ، بربطة كان قد أعطاها الدكتور فوجي للقساوسة قبل ذلك بأيام ، فلما انتهى من هذا العمل جرى إلى داخل دار البعثة مرة ثانية ، فوجد سترة لباسه الحربي وبنطلونا رماديا قديما ، فلبس هذه الملابس وخرج . وأسرعت إليه امرأة من الجيران صائحة أن زوجها مدفون تحت بيتها ، وأن النار اشتعلت فى البيت ،وتستغيث الأب كلاينسورج أن يسرع لإنقاذه .

وكان الأب كلاينسورج قد استولت عليه الدهشة وقلة المبالاة أمام مثل هذه الكارثة الشاملة ، فقال لها : « ليس لدينا وقت لذلك . » وكانت الدور فيما حوله تحترق ، والرياح تهب عنيفة ، ثم سأل : « هل تعلمين تماماً تحت أى مكان من الدار هو موجود ؟ »

فأجابته : « نعم ! نعم ! فاسرع ! »

فذهب إلى الدار ، وكانت بقاياها مشتعلة اشتعالا عنيفاً ، ولكنهما لما وصلا إليها ظهر أن المرأة لا تعرف أين يكون زوجها . وصاح الأب كلاينسورج عدة مرات « هل هناك أحد ؟ » فلم يأته الجواب. فقال الأب كلاينسورج للمرأة: «يجب أن نبتعد حالاً و إلا هلكنا جميعاً . » وعاد إلى بناء البعثة الكاثوليكية ، وأنبأ الأب الرئيس أن النار تقترب مع الريح التى تغير مهبها فصارت تهب الآن من الشمال ، وأن الوقت قد حان لمغادرة المكان .

وفى هذه اللحظة لفتت معلمة الأطفال نظر القساوسة إلى مستر فوكاى سكرتير البعثة ، وكان واقفاً فى النافذة بالطابق الثانى من دار البعثة ، وهو ينظر إلى اتجاه الانفجار ويبكى ، فظن الأب شيزلك أن السلالم صارت غير صالحة ، فجرى خلف دار البعثة ليبحث عن سلم . وهنالك سمع أناساً يصيحون طالبين الغوث تحت سقف قريب انهار عليهم ، فدعا المارة الذين كانوا يجرون فى الشارع إلى مساعدته فى رفع السقف ، ولكن لم يلتفت إليه أحد ؛ فاضطر إلى ترك أولئك الذين تحت السقف فى مخالب الموت . وجرى الأب كلاينسورج إلى داخل دار البعثة وصعد فوق الدرج التى أصابها الخلل وامتلأت بالجبس والأنقاض المتساقطة ، ودعا مستر فوكاى من باب حجرته .

فالتفت إليه مستر فوكاى فى بطء ، وكان رجلا قصيراً جداً فى نحو الخمسين من عمره ، وقال له وهو يحدجه بنظرة غريبة : « دعنى هنا . » ودخل الأب

كلاينسورج الحجرة وأمسك بمستر فوكاى من رقبة سترته ، وقال : « تعال معى وإلا أصابك الموت . »

فقال مستر فوكاى : « دعنى هنا لأموت . »

وأخذ الأب كلاينسورج يجر مستر فوكاى من الحجرة جرًّا ، ثم جاء طالب اللاهوت وحمل مستر فوكاى من قدميه ، كما حمله الأب كلاينسورج من كتفيه ، وسارا به على الدرج إلى الخارج . وكان مستر فوكاى يصيح : « إنى لا أستطيع السير دعانى هنا ! » وحمل الأب كلاينسورج حقيبة الأوراق بما فيها من نقود فى يده ، ثم حمل مستر فوكاى على كتفه ، وسار الجماعة قاصدين ساحة الاستعراض الشرقية ، وهى المكان المخصص للالتجاء إليه فى جهتهم ، وبينما كانوا يخرجون من بوابة الأبنية كان مستر فوكاى قد تغلبت عليه عقلية الأطفال ، فصار يضرب كتفى الأب كلاينسورج وهو يصيح : « لن أغادر الدار ! لن أغادر الدار ! » فالتفت الأب كلاينسورج إلى الأب لاسال وقال له فى عبارة غامضة : « لقد أضعنا كل شئ نملكه إلا روح الفكاهة فينا ! »

كانت الشوارع تعترضها أجزاء الدور التى وقعت عليها وعمد التليفون المتساقطة وأسلاكه . ويسمع من بين أنقاض كل بيت أو فى الغالب أصوات أناس غمرتهم الأنقاض وتركهم أهلوهم وهم يصيحون فى عبارة لا تزال مؤدبة : « تاسوكيتى كورى ! المساعدة من فضلكم ! » ولقد عرف القساوسة فى بعض هذه الخرائب التى تتصاعد منها الصيحات دور أصدقاء لهم ، ولكن المساعدة كانت تكون متأخرة جدا بسبب النار . وكان مستر فوكاى يردد طول الوقت شاكياً : « دعونى وشأنى ! » واتجهت الجماعة إلى اليمين ، فاذا بهم أمام أكوام من الدور المهدمة تناولتها النار من كل جانب ، وعند جسر ساكاى الذى يوصلهم إلى ساحة الاستعراض الشرقية رأوا جميع الحى الواقع إلى الجانب الآخر من النهر شعلة واحدة من النيران ، فلم يجسروا على العبور ، وقرروا الالتجاء إلى حديقة أسانو إلى اليسار منهم ، وكان الأب كلاينسورج ، وقد استولى عليه الضعف منذ يومين بسبب ما أصيب به من إسهال شديد ، قد أخذ يترنح تحت ثقل ذلك الحمل الصاخب . وحاول أن يتسلق حطام بعض الدور التى كانت تحول بينه وبين الوصول إلى الحديقة ، فعثر ، وسقط منه مستر فوكاى ، وتدحرج رأساً على عقب إلى حافة النهر . ولما نهض من عثرته رأى مستر فوكاى

يولى هارباً ، فنادى الأب كلاينسورج نحو عشرة من الجنود كانوا واقفين على النهر طالباً إليهم أن يقفوه . وبينما كان الأب كلاينسورج يهم بالعودة لكى يأتى بمستر فوكاى ، إذا بالأب لاسال يناديه : « أسرع ! لا تضع الوقت سدى ! » فلم يسع الأب كلاينسورج إلا أن يرجو الجنود أن يهتموا بالمستر فوكاى ، فوعدوا بذلك . ولكن الرجل الضئيل الكسير أفلت منهم ، وآخر ما شهده القساوسة منه أنه كان يجرى عائداً نحو النيران .

خاف مستر تانيموتو على أسرته وكنيسته فجرى أولا نحوهما مجتازاً أقرب طريق فى الشارع الكبير بحى كوى . وكان هو الشخص الوحيد الذى يسير متجهاً نحو المدينة ، وقابل مئات ومئات يفرون منها ، وكان كل منهم قد أصيب بنوع من الاصابات ، فقد احترقت حواجب بعضهم ، وتدلّى الجلد من وجوههم وأيديهم ، وكان بعضهم رافعاً ذراعيه من الألم كأنه يحمل شيئاً بينهما ، وكان بعضهم يتقيأ وهو سائر ، وكان العدد الكثير منهم عارياً أو فى أسمال ممزقة ، وقد رسمت الحروق على بعض الأجسام العارية ضروبا من الرسوم ؛ فترى علاقات القمصان وقد ظهرت على أجسادهم فى شكل حروق وترى بعض النساء (إذ كان اللون الأبيض يحول دون نفوذ حرارة القنبلة ، والملابس السوداء تمتصها وتنقلها إلى الجلد) ، قد طبعت رسوم الأزهار على أجسادهن من الكيمونو . وكان بعضهم بالرغم مما أصابهم يساعدون أقاربهم الذين هم فى حالة أسوأ منهم . وكان الجميع تقريباً منكسى الرءوس ، ينظرون إلى أمام فى سكوت ، ولا يظهر على وجوههم أى نوع من التعبير .

بعد أن عبر مستر تانيموتو جسر كوى ثم جسر كانون وهو يجرى ، رأى وهو يقترب من مركز المدينة أن جميع الدور قد تهدمت ، والكثير منها تشتعل فيه النار ، ولقد صارت الأشجار عارية وجذورها سوداء ، وحاول من أماكن عدة أن يخترق الخرائب ولكن النيران كانت تصده . وكان الناس يصيحون من تحت دور كثيرة طالبين الغوث ولا مغيث ، وكان الأحياء فى ذلك اليوم لا يسعفون بوجه عام إلا ذوى قرباهم أو جيرانهم الأدنين ؛ لأنهم لم يكونوا يدركون أو يتوقعون أن دائرة التعاسة أوسع من محيطهم ، وكان الجرحى يسيرون متحاملين على أنفسهم غير مكترثين بما يسمعون من صياح ، وكان

مستر تانيموتو يجرى غير مكترث أيضاً بتلك الصيحات ، وكان بوصفه مسيحيا قد امتلأت نفسه عطفاً على أولئك الذين وقعوا فى فخ الأبنية المتهدمة ، وبوصفه يابانيا قد عراه الخجل لأنه لم يصب بسوء ، وكان يدعو الله وهو يجرى : « اللهم ساعدهم ونجهم من النار ! »

وظن أنه يستطيع أن يتجنب النار من اليسار ، فعاد إلى جسر كانون وسار على حافة أحد الأنهار ، وحاول عدة مرات أن يقطع بعض الشوارع ، ولكنها جميعاً كانت مقفلة ، فسار فى طريقه إلى اليسار وجرى إلى يوكوجاوا ، وهى محطة سكك حديدية تدور حول المدينة فى نصف دائرة واسعة ، وظل يسير فوق الخطوط الحديدية إلى أن وقف أمام قطار يحترق . ولقد أثر فيه ما رآه من اتساع الدمار ، فجرى إلى الشمال ميلين إلى جيون وهى ضاحية تقع فى أسفل التلال . وكان أثناء سيره الطويل يرى أناساً محترقين ومشوهين تشويهاً فظيعاً ، وكان لشعوره بجرمه يلتفت يمنة ويسرة وهو مسرع ويقول : « معذرة إذ أنى لا أحمل مثل ما تحملون ! » وعلى مقربة من جيون رأى أناساً من الريف يتجهون نحو المدينة للمساعدة ، وعند ما رأوه صاح عدد منهم : « أنظروا هذا شخص ليست به جروح ! » وعند جيون اتجه إلى الشاطئ الأيمن من نهر أوتا الأساسى ، وصار يجرى حتى اعترضته النيران مرة ثانية . ولم تكن ثمة نيران فى الجانب الآخر من النهر ، فخلع قميصه وحذاءه وألقى بنفسه فى النهر ، وفى منتصف النهر كان التيار قوياً واستولى عليه التعب والخوف ؛ فلقد جرى نحو سبعة أميال ، فخارت قواه وتقاذفته المياه فأخذ يردد : « اللهم ساعدنى على عبور النهر ؛ فانه يكون من سوء الحظ أن أغرق بعد أن كنت الوحيد الذى لم يصب بسوء . » واستطاع أن يسبح قليلا فوجد لوحاً من الخشب محمولا فى المياه .

تسلق مستر تانيموتو الشاطئ وجرى بجانب النهر حتى إذا كان على مقربة من معبد لديانة الشنتو إذا بالنار تواجهه ، فاستدار إلى اليسار ليدور حول النار ، وإذا بالحظ العجيب يساعده ، فيقابل امرأته وهى تحمل ابنهما الطفل . ولقد كان مستر تانيموتو قد تعب إلى تلك اللحظة تعباً عاطفيا حتى لم يعد شئ يدهشه ؛ فلم يعانق زوجته بل قال لها فى بساطة : « حمداً لله على سلامتك ! » فأخبرته أنها وصلت إلى الدار بعد أن قضت ليلتها فى أوشيدا فى الوقت الذى حدث فيه الانفجار ، وأن أنقاض الدار تراكمت عليها وطفلها بين ذراعيها ،

ووصفت كيف ضغطت عليها الأنقاض وكيف كان الطفل يصيح ، ثم رأت بصيصاً من نور ، فمدت يدها وأخذت توسع هذا الثقب شيئاً فشيئاً ، وبعد نصف ساعة سمعت حسيس النار تشتعل فى الأخشاب . وأخيراً اتسعت الفجوة بحيث استطاعت أن تدفع بابنها إلى الخارج ثم تزحف هى إلى الخارج أيضاً . وقالت إنها عائدة الآن إلى أوشيدا ثانية . وقال مستر تانيموتو إنه يريد أن يرى كنيسته ليعنى بالتابعين منهم لجمعية جيرانه ، وافترقا فى بساطة — بسبب ما استولى عليهما من ذهول — كما تقابلا .

أدى السير بمستر تانيموتو وهو يتجنب النار إلى ساحة الاستعراض الشرقية وهى منطقة ملاذ ، وقد صارت الآن ذات منظر فظيع ؛ فقد امتلأت بصفوف وصفوف من الحرقى والجرحى . وكان الذين أصابهم الحريق يئنون قائلين « ميزو! ميزو! الماء! الماء! » ووجد مستر تانيموتو إناء فى شارع قريب ، ورأى صنبور مياه كان لا يزال صالحاً فى دار مهدمة ، فأخذ يحمل المياه إلى هؤلاء المعذبين . وبعد أن أمد نحو ثلاثين منهم بالماء بدا له أنه أنفق فى ذلك وقتاً طويلا ، فقال بصوت عال لأولئك الذين كانوا يمدون أيديهم من حوله يرجون إطفاء غليلهم : « معذرة فان على أن أهتم بأناس عديدين ! » ، ثم جرى مسرعاً إلى النهر والاناء فى يده وقفز إلى كثيب من الرمل ، وهنالك رأى مئات من الناس أصيبوا بجروح خطيرة حتى لم يكونوا يستطيعون أن يخرجوا من المدينة المحترقة . وعندما رأوا رجلا منتصب القامة لم يصب بسوء أخذوا ينادون « الماء! الماء! الماء! » ، ولم يستطع مستر تانيموتو أن يقاوم نداءهم بل حمل إليهم الماء من النهر . وكان هذا خطأ منه لأن الماء كان من ماء المد وهو متغير الطعم . وكان هنالك قاربان أو ثلاثة تنقل المصابين عابرة النهر من حديقة أسانو . وعندما وصل أحد هذه القوارب إلى الشاطئ الذى وقف عليه ، أعاد مستر تانيموتو اعتذاره السابق بصوت عال وقفز إلى القارب فعبر به إلى الحديقة . وهناك تحت الأدغال وجد بعض من هو مسئول عنهم من جمعية جيرانه وقد لجأوا إلى الحديقة طوعاً لتعليماته السابقة ، ورأى عدة من المعارف بينهم الأب كلاينسورج وغيره من الكاثوليك ، ولكنه لم ير فوكاى الذى كان صديقاً حميما له ، فسأل : « أين السيّد فوكاى ؟ »

فأجاب الأب كلاينسورج : « إنه لم يرد المجئ معنا وعاد أدراجه . »

عندما سمعت الآنسة سازاكى صوت الناس الذين سجنوا معها تحت أنقاض مصنع الصفيح أخذت تتحدث إليهم . وكانت أقرب جارة إليها فتاة طالبة فى إحدى المدارس العالية وقد ندبت للعمل فى المصنع ، وأنبأتها هذه الفتاة أن ظهرها كسر ؛ فأجابتها الآنسة سازاكى : « إننى راقدة هنا لا أستطيع الحراك وقد قطعت رجلى اليسرى ! »

وبعد قليل سمعت حس شخص يسير فوقها . ويقصد إلى أحد الجوانب ثم بدأ يحفر فى الأنقاض ، وأنقذ هذا الحافر عدة أناس ، وعندما كشف عن طالبة المدرسة العالية ، ألفت الطالبة ظهرها لم يكسر على كل حال ، وأخذت تزحف إلى الخارج . وتحدثت الآنسة إلى المنقذ فأخذ يعمل لإنقاذها ، فرفع عدداً كبيراً من الكتب إلى أن أوجد نفقاً إليها ، فرأت وجهه المبلل بالعرق وهو يقول لها : « اخرجى أيتها الآنسة ! » فحاولت ثم قالت : « إنى لا أستطيع أن أتحرك . » فعاد الرجل إلى الحفر ثم طلب إليها أن تحاول بكل قوتها الخروج ، ولكن الكتب كانت ثقيلة على عجيزتها ، ورأى الرجل أخيراً أن أحد القمطرين كان مائلا فوق الكتب وأن قطعة خشبية ثقيلة تضغط هذا القمطر ، فقال الرجل : « انتظرى فسأجد رافعاً للأخشاب . »

وغاب الرجل طويلا ، وحينما عاد كان ضيق الخلق وكأنما كان هذا الموقف من خطئها ، وصاح داخل النفق : « ليس لدينا رجال للمساعدة ، فيجب أن تخرجى بنفسك . »

فقالت : « هذا مستحيل فان رجلى اليسرى . . . » فذهب الرجل .

وجاء عدة رجال بعد وقت طويل وسحبوا الآنسة سازاكى إلى الخارج ولم تكن رجلها قد فصلت من جسمها بل كانت قد كسرت وقطعت وهى معلقة فيما تحت الركبة ، فنقلوها إلى فناء المصنع ، وكانت السماء تمطر ، وجلست على الأرض فى المطر ، وحينما ازداد سقوطه ، أشار أحد الأشخاص على الجرحى بأن يحتموا فى المخابئ التى أعدت بالمصنع للوقاية من الغارات ، وقالت لها امرأة ممزقة الثياب : « تعالى معنا فانك تستطيعين السير قفزاً » ، ولكن الآنسة سازاكى لم تستطع الحراك ، وظلت تحت المطر . ثم أقام رجل قطعة من الحديد المموج لكى تكون وقاية لها ، وحملها بين ذراعيه إليها . وشعرت الفتاة بهذ الجميل ، إلى أن جاء بشخصين مشوهين من الجروح تشويهاً فظيعاً — أحدهم

امرأة وقد تمزق صدرها بأجمعه ، والآخر رجل صار وجهه قطعة لحم من الحريق — وشاركها الاثنان فى هذا الوقاء البسيط ولم يأت إليهم أحد بعد ذلك . ثم انقطع المطر ، وصار ما بعد ظهر ذلك اليوم بسمائه الملبدة بالغيوم يوماً حارا ، ولم يقبل الليل حتى كان الثلاثة المشوهون الجالسون تحت المنحنى من الحديد الموج تنبعث منهم رائحة كريهة .

كان الرئيس السابق لجمعية الحيران فى حى نوبورى تشو وهى التى ينتمى إليها القساوسة الكاثوليك رجلا نشيطاً اسمه يوشيدا ، وكان يزعم مفاخراً عند ما كان رئيساً لمنطقة الوقاية من الغارات ، أن النار قد تأكل سائر هيروشيما ، ولكنها لن تصل إلى نوبورى تشو . على أن القنبلة حطمت داره واخترقت قطعة مدببة من الأخشاب رجليه ، فعلق منهما أمام داره على مرأى من دار البعثة الكاثوليكية ، ومن الناس الذين كانوا يسرعون فى الطريق . فلم تكد تراه السيدة نكامورا حين مرت عليه مسرعة بأطفالها ، ولم يره الأب كلاينسورج وهو يحمل مستر فوكاى على ظهره ، فإنه صار جزءاً من فوضى التعاسة التى كانوا فيها ، ولم تجد صيحاته وهو يستغيث جواباً من مغيث . فلقد كان عدد المستغيثين كثيراً بحيث لم يكن صوته يسمع خلال هذه الأصوات . وكان هؤلاء المارة وغيرهم يسرعون فى سيرهم حتى أصبحت نوبورى تشو خالية والنيران تشتعل فيها . ورأى مستر يوشيدا منزل البعثة الخشبى — وهو البناء الوحيد القائم فى تلك المساحة — قد شبت به النيران ؛ وكانت حرارتها شديدة على وجهه ، ثم انتقلت النيران إلى الجانب الآخر حيث كان واتصلت بمنزله ، فخلق فيه اليأس قوة ، فاستطاع أن يخلص نفسه ، وانطلق يجرى فى حى نوبورى تشو والنار التى قال إنها لن تصيب هذا الحى تأخذه من كل جانب ، ومنذ تلك اللحظة صار يسلك مسلك الشيوخ ؛ واستحال لون شعره بياضا بعد شهرين .

غاص الدكتور فوجي فى النهر إلى رقبته اتقاء لحرارة النار وكانت الريح تزداد شدة . ومع أن النهر غير متسع فقد ارتفعت الأمواج فيه حتى لم يستطع الواقفون تحت الجسر أن يحتفظوا بأماكنهم . وذهب دكتور فوجي إلى جانب

الشاطئ وانحنى واحتضن حجراً كبيراً بيده السليمة . واستطاع الدكتور فوجي وممرضتاه اللتان بقيتا على قيد الحياة أن يخوضوا فيما بعد فى الماء إلى أن قطعوا نحو مائتى ياردة على طول النهر، فبلغوا كثيباً من الرمل على مقربة من حديقة أسانو . وكان كثيرون من الجرحى راقدين على الرمل، وهناك كان الدكتور ماتشى واسرته وقد أصيبت ابنته بحروق شديدة فى يديها ورجليها إذ كانت خارج البيت عند انفجار القنبلة ، ولكنها لحسن حظها لم تصب فى الوجه ، ومع أن كتف الدكتور فوجي كانت تؤلمه ألماً شديداً فانه فحص حروق الفتاة بامعان ثم رقد . ومع ما كان يحيط به من تعاسة كان يحس بالخجل لمنظره ، وأبدى للدكتور ماتشى أن مظهره كمظهر السائل ؛ إذ أنه لا يرتدى غير ملابس داخلية ممزقة وملطخة بالدماء . ثم قرر بعد الظهر عندما أخذت النار تهدأ أن يذهب إلى منزل أبويه فى ضاحية نجاتسوكا ، ورغب إلى دكتور ماتشى أن يرافقه . ولكن الطبيب أنبأه بأنه سيقضى الليل مع أسرته فوق كثيب الرمل لإصابة ابنته . وسار دكتور فوجي ومعه ممرضتاه نحو أوشيدا أولا حيث وجد فى دار لم يصبها إلا قليل من التخريب ، وهى لبعض أقاربه ، أدوات للإسعاف كان قد وضعها هنالك . فربطت الممرضان جراحاته وربط هو لها جراحاتهما ثم استأنفوا السير ولم يكن حينئذ إلا القليل من الناس يسيرون فى الشوارع . ولكن كان عدد كبير على الرصيف بين جالس وراقد يقيئون وهم فى سبيل الموت ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . وكان عدد الجثث فى طريقهم إلى نجاتسوكا مما يزيد فى حيرته ، فساءل الطبيب نفسه : أتفعل سلة أزهار مولوتوف كل هذا الفعل ؟

وبلغ دكتور فوجي إلى دار أسرته فى المساء ، وهى على خمسة أميال من مركز المدينة ، ولكن سقف الدار كان قد خر والنوافذ تحطمت جميعاً .

ظلت أفواج الناس تهرع متدافعة إلى حديقة أسانو . وكانت هذه المزرعة الخاصة بعيدة عن الانفجار حتى لقد ظلت أشجار الغاب والبلوط والغار والزان حية . وكانت فى ذلك المكان خضرة قد اجتذبت اللاجئين ؛ إذ كانوا يعتقدون أن الأمريكيين إن عادوا إلى الاغارة فانهم لا يلقون قنابلهم إلا على الأبنية . ثم إن من شأن الخضرة أن يكون فيها رَوْحٌ أو حياة ، وإن الحدائق الصخرية المنظمة تنظيما دقيقاً فى تلك المزرعة بمجاريها الهادئة وجسورها

القوسة مما يلائم ذوق اليابانيين وهى تمثل لهم الحياة العادية ذات الطمأنينة ، ثم إنهم أحسوا برغبة ملحة (على قول بعض الذين لجأوا إلى الحديقة) تدفعهم للاختباء تحت أوراق الأشجار . وكانت السيدة نكامورا وأولادها من أوائل الذين وصلوا إلى الحديقة وجلسوا تحت مجموعة من شجر الغاب على مقربة من النهر . وقد شعروا جميعاً بظمأ شديد ، فشربوا من ماء النهر فأصابهم فى الحال ألم وأخذوا يتقيأون ويتألمون طول النهار ، ولقد عرى الغثيان آخرين أيضاً واعتقدوا جميعاً (والراجح أن ذلك بسبب رائحة التفاعل القوية وهى رائحة كهربائية نشأت عن احتراق القنبلة) أن سبب مرضهم الغاز الذى ألقاه الأمريكيون . وحينما وصل الأب كلاينسورج والقساوسة الآخرون إلى الحديقة ، وكانوا يحنون رءوسهم لأصدقائهم فى مرورهم ، رأوا أسرة السيدة نكامورا وهم مرضى جميعاً . وقامت امرأة اسمها ايساواكى كانت تسكن بجوار البعثة ، وكانت جالسة على مقربة من أسرة نكامورا ، وسألت القساوسة أتظل حيث هى أم تذهب معهم ، فقال الأب كلاينسورج : « إنى لا أكاد أعرف أى الأماكن أسلم » ، فلزمت مكانها . وحدث بعد ذلك أنها توفيت ، فى ذلك اليوم مع أنها كانت خالية من الجراح أو الحروق الظاهرة . وسار القساوسة ومجرى النهر حتى انتهوا إلى مكان جلسوا فيه بين الأدغال ، واضطجع الأب لاسال وأخذه النوم . وكانت فى رجل طالب اللاهوت نعل وهو يحمل معه حزمة من الثياب فيها حذاءان من الجلد فلما جلس مع الآخرين ، ألفى الحزمة قد تمزقت وسقط منها أحد الحذاءين وبقى الحذاء الآخر . فعاد فى الطريق الذى سلكه فوجد هذا الحذاء ثم انضم إلى القساوسة وقال لهم : « من العجيب أنى أصبحت اليوم لا أكترث لشئ ؛ فقد كان أهم شئ عندى بالأمس أحذيتى ولكنها اليوم صارت لا أهمية لها ويكفينى حذاء واحد . »

وقال الأب شيزليك : « وهذا شأنى ، فلقد هممت بأن أحمل كتبى ثم بدا لى أن هذا ليس وقت الكتب . »

حينما وصل مستر تانيموتو ، وإناؤه لا يزال فى يده ، إلى الحديقة كانت غاصة بالناس ، ولم يكن من السهل تمييز الموتى من الأحياء ؛ فان أكثر الناس كانوا راقدين فى سكون وأعينهم شاخصة . وكان هذا السكون فى هذه الأدغال إلى جانب النهر مع أن مئات من الجرحى بجراح مخيفة يتعذبون عذاب

أليما ، كان هذا عند رجل غربى الأب كلاينسورج من أروع وأفظع المظاهر التى شهدها فى حياته ، فلقد كان هؤلاء المصابون يطبق عليهم السكون دون أن يبكى أحد أو يئن من ألم أو ترتفع شكوى أو يحدث ضجيج من الذين يموتون . حتى الأطفال كانوا لا يبكون . ولم يكن إلا القليل من المصابين يتحادثون . ولما أخذ الأب كلاينسورج يوزع الماء على بعض الذين أصيبت وجوههم بحريق الانفجار حتى فقدت معالمها كانوا يأخذون نصيبهم من الماء ثم يرفعون أنفسهم قليلا (من رقادهم) ، وينحنون له علامة على الشكر .

وقد حيا مستر تانيموتو القساوسة وأخذ يبحث عن أصدقاء آخرين ، ورأى السيدة ماتسوموتو زوجة مدير المدرسة الميتودية وسألها أتشعر بالحاجة إلى الماء ؟ فأجابته نعم ؛ فذهب إلى أحد مجارى المياه فى حدائق أسانو الصخرية وحمل إليها الماء فى إنائه . ثم اعتزم أن يحاول الذهاب إلى كنيسته ، فذهب إلى نوبورى تشو فى الطريق الذى سلكه القساوسة عند فرارهم ، ولكنه لم يبعد كثيراً إذ كانت النار عنيفة فى الشوارع حتى اضطرته إلى العودة فذهب إلى شاطئ النهر وأخذ يبحث عن قارب يحمل فيه أولئك الذين كانت جراحهم شديدة فيعبر بهم النهر من حديقة أسانو ليكونوا بنجوة من النار التى أخذت تنتشر . فوجد قارب نزهة فوق الشاطئ ، على أنه كان حوله منظر فظيع ، هو خمسة من الموتى يكادون يكونون عراة الأجسام ، وقد أصابتهم حروق شديدة ، ولا بد أنهم ماتوا فى لحظات متقاربة . وموضع جثثهم يدل على أنهم كانوا يحاولون إنزال القارب فى الماء . فحمل مستر تانيموتو الجثث بعيداً عن القارب . وكان يشعر وهو يقوم بهذا العمل أنه انتهك بفظاعة حرمة الموتى — وأنه منعهم ، وهذا ماشعر به لحظة ، من إنزال قاربهم إلى الماء والسير به فى رحلتهم الغريبة — حتى لقد قال بصوت مسموع : « أرجو أن تغفروا لى أخذ هذا القارب ؛ فانى سأستعمله من أجل آخرين أحياء . » وكان القارب ثقيلا ، ولكنه استطاع أن ينزله إلى الماء . ولم يجد فيه مجاديف ، وكل ما استطاع أن يزن به القارب عود طويل من الغاب . وسار بالقارب صاعداً فى النهر إلى أكثر الجهات ازدحاماً فى الحديقة ، وأخذ ينقل الجرحى واستطاع أن يحمل عشرة أو اثنى عشر منهم فى كل مرة ، ولكن النهر كان عميقاً فى وسطه بحيث لم يكن يستطيع أن يستعمل عود الغاب فى السير بالقارب إلا فى عسر . وقد اضطر أن يجدف بهذا العود من

الجانبين . وعلى ذلك كانت كل رحلة تستغرق وقتاً طويلا جدا ، وظل يعمل عدة ساعات بهذه الوسيلة .

واتصلت النار بأشجار حديقة أسانو فى الساعات الأولى من بعد ظهر ذلك اليوم ، وعرف مستر تانيموتو ذلك لأول مرة عند ما كان عائداً بقاربه فرأى عدداً عظيما من الناس قد انتقلوا إلى جانب النهر . ولما وصل إلى الشاطئ صعد ليعرف السبب . وحين رأى النار صاح : « ليأت معى جميع الشبان الذين ليست بهم جراح خطيرة . » ونقل الأب كلاينسورج كلا من الأب شيفر والأب لاسال إلى حافة النهر وطلب إلى الحاضرين أن ينقلوهما إلى الضفة الأخرى إذا اقتربت النيران ، ثم انضم إلى الذين تطوعوا مع مستر تانيموتو . فأرسل مستر تانيموتو بعض هؤلاء المتطوعين للبحث عن أوان وجرادل ، وأمر آخرين بأن يضربوا بثيابهم الأدغال التى تحترق . وعندماجاء بعضهم بالأوانى أنشأ سلسلة من أصحاب الجرادل لنقل الماء من أحد المجارى بالحديقة ، واشتغلت الفرقة بمكافحة النيران ساعتين فتغلبوا عليها شيئاً فشيئاً . وبينما كان رجال مستر تانيموتو يعملون كان الحشد من الناس الذين سيطر عليهم الذعر فى الحديقة ينتقلون إلى مقربة من النهر ، واضطر هذا الجمهور أخيراً بعض الواقفين على حافة النهر إلى أن ألقوا بأنفسهم فى الماء ، وكان من بين الذين سقطوا فى الماء وغرقوا السيدة ماتسومو المعلمة بالمدرسة الميثودية وابنتها .

لما عاد الأب كلاينسورج بعد مكافحة النار ، وجد الأب شيفر لا تزال الدماء تنزف منه وهو ممتقع الوجه امتقاعاً شديداً ، وكان بعض اليابانيين وقوفاً حوله يحدقون فيه . وهمس الأب شيفر وارتسمت على فمه ابتسامة ضعيفة : « إنى لأشعر كأنى قد أخذت أذوق طعم الموت . » فقال الأب كلاينسورج : « لا تظن ذلك بعد . » وقد أتى معه بحقيبة إسعاف الدكتور فوجي . وكان قد لحظ بين الجمع الدكتور كندا ، فبحث عنه وسأله أن يضمد جراح الأب شيفر . لكن دكتور كندا كان قد رأى زوجته وابنته ميتتين بين أنقاض مستشفاه ، وكان حين سأله الأب كلاينسورج جالساً وواضعاً يديه على رأسه فقال : « لا أستطيع أن أفعل شيئاً . » فربط الأب كلاينسورج أربطة أخرى حول رأس الأب شيفر ونقله إلى مكان بعيد وأرقده بحيث يكون الرأس مرتفعاً ، فلم يلبث النزيف أن قل .

وفى هذا الوقت سمع أزيز طيارات تقترب ، فصاح أحد الناس من الجمهور القريب من السيدة نكامورا : « هذه طيارات آتية لتطحننا » ، ووقف خباز اسمه نكاشيما وصاح : « ليخلع ملابسه من كان مرتدياً ثياباً بيضاء . » فخلعت السيدة نكامورا سترة أطفالها وفتحت مظلتها وأجلستهم تحتها . وزحف عدد كبير من الجمهور حتى الذين كانت حروقهم شديدة إلى الأدغال وظلوا قابعين إلى أن بعد أزيز الطائرات التى كان من الواضح أنها تقوم بالاستطلاع أوسعرفة الجو .

وأخذ المطر ينهمر ، وبقى أطفال السيدة نكامورا تحت المظلة ، ونزلت قطرات كبيرة ، وصاح أحد الناس : « إن الأمريكيين يلقون بترولا فهم يريدون أن يحرقونا . » (وكان هذا الانذار ناشئاً عن إحدى النظريات التى تناقلها الناس فى الحديقة عن السبب فى هذا الحريق الواسع بهيروشيما ، وهو أن طيارة واحدة صبت البترول على المدينة ثم بطريقة ما أشعلت النار .) ولكن تبين للجميع أن القطرات كانت ماء . وأخذت الريح تشتد وتشتد ، ثم فجأة — ولعل ذلك بسبب التقوس الجوى الذى نشأ عن المدينة المشتعلة — مرت عاصفة على الحديقة ، وسقطت أشجار كبيرة ، واقتلعت أشجار صغيرة وطارت فى الهواء ، وارتفعت أشياء مختلفة مع الريح ، من قطع حديدية وأوراق وأبواب وأجزاء من الحصر ، وتكوّن من ذلك إعصار . فوضع الأب كلاينسورج قطعة من القماش فوق عينى الأب شيفر حتى لا يتوهم الرجل الضعيف أنه قد أصيب بالخبل . وحملت العاصفة السيدة موراتا مديرة دار البعثة ، وكانت جالسة قريباً من النهر ، وقذفت بها إلى حافة النهر فى مكان صخرى غير عميق إذ خرجت قدماها داميتان . ثم اتجه الاعصار نحو النهر حيث امتص المياه فارتفعت كأنها نافورة ، وأخيراً تفانى .

واستأنف مستر تانيموتو نقل الناس فى القارب بعد العاصفة . وطلب الأب كلاينسورج من طالب اللاهوت أن يعبر النهر ويذهب إلى المدرسة الكاثوليكية فى نجاتسوكا ، وهى على ثلاثة أميال من مركز المدينة ، ليرجو القساوسة هنالك أن يأتوا بالمساعدة للأب شيفر والأب لاسال . فركب الطالب قارب مستر تانيموتو وذهب معه . وسأل الأب كلاينسورج السيدة نكامورا أراغبة هى فى الذهاب إلى نجاتسوكا مع القساوسة حين يجيئون ؟ فقالت إن لديها أحمالا وأطفالها مرضى — وكانوا لا يزالون يتقيأون من وقت لآخر وهى

كذلك — ولذلك فانها تخشى ألا تستطيع الانتقال . فقال إنه يظن أن الآباء فى المدرسة سيأتون فى اليوم التالى بعربة يد لنقلها .

ثم بعد الظهر عندما صعد مستر تانيموتو إلى الشاطئ ، وهو الرجل الذى كان يعتمد الكثيرون على نشاطه وابتكاره ، رأى أناساً كثيرين يلحون فى طلب الطعام ، فاستشار الأب كلاينسورج ثم اعتزما أن يعودا إلى المدينة ليأتيا بشئ من الأرز من مخبأ جمعية مستر تانيموتو للجيران ومن مخبأ البعثة . وذهب معهما الأب شيزلك واثنان أو ثلاثة آخرون . ولم يعرفوا فى مبدأ الأمر عند مارأوا صفوف الدور المنهارة أين هم ؛ فالتغير كان مفاجئاً من مدينة نشيطة فيها مائتان وخمسة وأربعون ألفاً فى ذلك الصباح إلى مجرد مظهر أنقاض فيما بعد الظهر . وقد سال الأسفلت فى الشوارع وكان حارا حتى كان السير عليه متعباً . ولم يقابلوا غير شخص واحد هو امرأة قالت لهم وهم يمرون عليها : « إن زوجى فى هذا الرماد . » وعند دار البعثة حيث انفصل مستر تانيموتو عن الجماعة هال الأب كلاينسورج ما رأى من انمحاء البناء . وفى الحديقة فى طريقه إلى المخبأ لاحظ قرعة قد طبخت فوق الأشجار وذاقها هو والأب شيزلك فكان طعمها لذيذاً ، وقد تعجبوا لشعورهم بالجوع وأكلوا بعض الفاكهة ، ثم أخرجوا عدة أكياس من الأرز وجمعوا بعض هذا القرع المطبوخ ثم حفروا وأخرجوا بعض البطاطس وكان مطبوخاً تحت الأرض ، وأخذوا يعودون ، وانضم إليهم مستر تانيموتو وهم فى الطريق . وكان أحد الرجال الذين تبعوهم قد أتى بأدوات للطهى وقدم الأب كلاينسورج بعض القرع لأسرة نكامورا ، فذاقوه ولكنه لم يستقر فى معدهم . وكان الأرز بأجمعه يكفى طعاماً لنحو مائة من الناس .

وقبل نزول الظلام عثر مستر تانيموتو على فتاة فى الحادية والعشرين من عمرها ، هى السيدة كماى ، وهى جارتهم فى السكن ، وكانت جالسة القرفصاء على الأرض وتحمل بين ذراعيها جثة طفلتها . والظاهر أن الطفلة ماتت منذ الصباح . فنهضت السيدة كماى قائمة حين رأت مستر تانيموتو وقالت : « هل تتفضل بالبحث عن مكان زوجى ؟ »

وكان مستر تانيموتو يعرف أن زوجها قد التحق بالجيش فى اليوم السابق . وقد دعا مستر تانيموتو وزوجته السيدة كماى بعد ظهر ذلك اليوم السابق إلى دارهما كى يرفها عليها ، وقد ذهب كماى إلى مركز الجيش المحلى

بحى شوجوكو — على مقربة من القصر القديم فى وسط المدينة — وفى هـذا المركز كان يقيم أربعة آلاف من الجنود . واستنتج مستر تانيموتو من العدد الكبير من الجنود المشوهين الذين قابلهم أثناء ذلك اليوم أن المعسكرات أصيبت بأضرار كبيرة من الشئ الذى ضربت به هيروشيما مهما يكن هذا الشئ ، وكان يعرف أنه لا أمل له فى العثور على زوج السيدة كمای لو قام بالبحث عنه ، ولـكنه أراد أن يرضيها فقال : « سأحاول . »

قالت السيدة : « يجب أن تفعل ؛ فلقد كان يحب طفلتنا حبا شديداً ، وأريد أن يراها مرة أخرى . »